

فتح القدير

46 - { وقد مكروا مكرهم } الجملة في محل نصب على الحال : أي فعلنا بهم ما فعلنا والحال أنهم قد مكروا في رد الحق وإثبات الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه وسعهم { وعند ا مكرهم } أي وعند ا جزاء مكرهم أو وعند ا مكتوب مكرهم فهو مجازيهم أو عند ا مكرهم الذي يمكرهم به على أن يكون المكر مضافا إلى المفعول قبل والمراد بهم بهم قوم محمد A مكروا بالنبي A حين هموا بقتله أو نفيه وقيل المراد ما وقع من النمروذ حيث حاول الصعود إلى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط قوائمه بأربعة نسور { وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال } قرأ عمر وعلي وابن مسعود وأبي وإن كاد مكرهم بالبدال المهملة مكان النون وقرأ غيرهم من القراء { وإن كان } بالنون وقرأ ابن محيصن وابن جريج والكسائي { لتزول } بفتح اللام على أنها لام الابتداء وقرأ الجمهور بكسرها على أنها لام الجحود قال ابن جرير : الاختيار هذه القراءة يعني قراءة الجمهور لأنها لو كانت زالت لم تكن ثابتة فعلى قراءة الكسائي ومن معه تكون إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وزوال الجبال مثل لعظم مكرهم وشدته : أي وإن الشأن كان مكرهم معدا لذلك قال الزجاج : وإن كان مكرهم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال فإن ا ينصر دينه وعلى قراءة الجمهور يحتمل وجهين : أحدهما أن تكون إن هي المخففة من الثقيلة والمعنى كما مر والثاني أن تكون نافية واللام المكسورة لتأكيد النفي كقوله : { وما كان ا ليضيع إيمانكم } والمعنى : ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات ا وشرائعه الثابتة على حالها مدى الدهر فالجملة على هذا حال من الضمير في مكروا لا من قوله : { وعند ا مكرهم } أي والحال أن مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في مساوي الأخلاق عن ميمون بن مهران في قوله : { ولا تحسبن ا غافلا عما يعمل الظالمون } قال : هي تعزية للمظلوم ووعيد للظالم وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : { ليوم تشخص فيه الأبصار } قال : شخست فيه وا أبصارهم فلا ترتد إليهم وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { مهطعين } قال : يعني بالإهطاع النظر من غير أن يطرق { مقنعي رؤوسهم } قال : الإقناع رفع رؤوسهم { لا يرتد إليهم طرفهم } قال : شاخته أبصارهم وأفئدتهم هواء { ليس فيها شيء من الخير فهي كالخربة وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد مهطعين قال : مديمي النظر وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة مهطعين قال : مسرعين وأخرج هؤلاء عن قتادة في قوله : { وأفئدتهم هواء } قال : ليس فيها

شيء خرجت من صدورهم فنشبت في حلوقهم وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مرة وأفئدتهم هواء قال : منخرقة لا تعي شيئا وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : { وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب } يقول : أنذرهم في الدنيا من قبل أن يأتيهم العذاب وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال : { يوم يأتيهم العذاب } هو يوم القيامة وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس { ما لكم من زوال } قال : عما أنتم فيه إلى ما تقولون وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله { ما لكم من زوال } قال : بعث بعد الموت وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن في قوله : { وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم } قال : عملتم بمثل أعمالهم وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله : { وإن كان مكربهم } يقول : ما كان مكربهم { لتزول منه الجبال } وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس { وإن كان مكربهم } يقول شركهم كقوله : { تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا } وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري عن علي بن أبي طالب أنه قرأ هذه الآية { وإن كان مكربهم لتزول منه الجبال } ثم فسرهما فقال : إن جبارا من الجبابرة قال : لا أنتهي حتى أنظر إلى ما في السماء فأمر بفراخ النسور تعلف اللحم حتى شبت وغلطت وأمر بتابوت فنجر يسع رجلين ثم جعل في وسطه خشبة ثم ربط أرجلهم بأوتاد ثم جوعهن ثم جعل على رأس الخشبة لحما ثم دخل هو وصاحبه في التابوت ثم ربطهن إلى قوائم التابوت ثم خلى عنهن يردن اللحم فذهبن به ما شاء الله ثم قال لصاحبه افتح فانظر ماذا ترى ففتح فقال : انظر إلى الجبال كأنها الذباب قال أغلق فأغلق فطرن به ما شاء الله ثم قال افتح ففتح فقال انظر ماذا ترى فقال : ما أرى إلا السماء وما أراها تزداد إلا بعدا قال صوت الخشبة فصوبها فانقضت تريد اللحم فسمع الجبال هدهتها فكادت تزول عن مراتبها وقد روي نحوه هذه القصة لبختنصر وللمروذ من طرق ذكرها في الدر المنثور